الاستثناء والقاعدة

مسرحية فى ثمانى لوحات

للكاتب الألمانى

برتولد برخت

الشخصيات

١- التاجر كارل لانجمان

٢- الأجير

٣- الدليل

٤- صاحب الفندق فى محطة"هان "

٥- القاضى

٦- رئيس القافلة الثانية

٧- قاضيان

٨- شرطيان

الاستثناء والقاعدة

- الممثلون -

سنروى لكم
حكاية رحلة .
القافلة تضم تاجرا واثنين من أتباعه
افتحوا عيونكم لتروا كيف يتصرفون
قد يبدو سلوكهم شيئا مألوفا
وعليكم أن تكشفوا عن شذوذه
وقد يبدو لكم شيئا عاديا
مما يحدث كل يوم ..
وعليكم أن تتبينوا وجه الغموض فيه
وأن تميزوا المحال
من وراء القاعدة المقدسة

لا تأمنوا لأقل إشارة

مهما بدت بسيطة فى ظاهرها

ولا تقبلوا العادة المتوارثة على ما هى عليه

بل فتشوا عن وجه الضرورة فيها .

نحن نناشدكم على الدوام ألا تقولوا

" هذا أمر طبيعى "

إزاء ما يعترضكم من الأحداث كل يوم ...

ففى زمن يسوده الاضطراب وتسيل فيه الدماء

ويدين بالفوضى

ويقوم العسف والطغيان فيه مقام القانون

وتفقد الإنسانية إنسانيتها

لاينبغى لكم أن تقولوا :

" هذا أمر طبيعى "

حتى لا يستعصى شىء على التغيير والتبديل .

سباق فى الصحراء

(قافلتان صغيرتان تفصلهما مسافة بسيطة تتسابقان فى الصحراء)

***

التاجر : (إلى رفيقيه الدليل والأجير الذى يحمل أمتعته) – هيا .. أسرعا أيها الكسالى. إن على أن أسبقهم بيوم كامل وأن أكون بعد غد فى محطة "هان". أنا التاجر لانجمان. أسير فى طريقى إلى "أورجا" لأحصل على امتياز البترول ومنافسى يتبعوننى عن كثب والفائز من يسبق صاحبه. قطعت المسافة حتى الآن بسرعه لم يسبقنى إليها أحد بفضل ما أوتيت من مهارة ومثابرة على العمل. وما أخذت به صاحبى من صرامة وحزم. ومن نكد الطالع أن منافسى أوشكوا أن يبلغوا نفس سرعتنا (يلتفت وراءه ويتطلع فى منظار مكبر) هاهم أولاء من جديد فى أعقابنا (للدليل) ادفع الأجير قليلا. هل عينتك إلا لهذا .. أم تحسب أنك جئت تتنزه على حسابى. أتدرى كم تتكلف رحلة كهذه .. طبعا. فأنت لم تدفع شيئا من جيبك .. ولكن ليكن فى علمك أنك إذا غدرت بى فسوف أسلمك لمكتب العمل فى"أورجا".

الدليل : (للأجير) – أسرع .. أسرع .

التاجر : صوتك لا يبشر بخير. كان على أن أدفع أكثر مما دفعت واستأجر دليلا آخر يعيننى على السفر. هيا. اضرب هذا الصعلوك. إننى لا أحبذ الضرب. ولكن لا بد منه فى مثل هذه الظروف. إن لم أسبقهم فقد تحطمت وضاع على كل شىء. هه ! قل الحق. هذا أخوك اخترته ليحمل أمتعتى. إنه قريبك. ولذلك لا تريد أن تضربه. ولكـــن حيلكـــم لا تخفى على .. فأنا أدرى بكم. أسرع .. هيه .. أجرتك يمكنك أن تطلبها من المحكمة .. يا إلهى ! إنهم يوشكون أن يدركونا .

الأجير : (للدليل) – اضربنى كما تشاء. ولكن لا تضرب بكل قوتك. إن كان لى أن أبلغ محطة "هان" فلا بد من أن أضع قدما مكان الأخرى ..

صوت (ينادى من الخلف) – أوه .. هل هذا هو الطريق إلى "أورجا" .. ها .. أيها الصديق انتظرنا ..

التاجر : (بغير أن يجيب أو يلتفت وراءه) – فلتتخطفكم الشياطين. إلى الأمام .. ثلاثة أيام .. وأنا أتعجلهما

وأحثهما على السير .. يومان بالضرب المبرح .. وثالث بالوعود المعسولة. ومنافسى يلاحقوننى على الدوام .. ولكنى سأواصل السير فى الليلة القادمة بلا كلل .. وبهذا يفقدون أثرى .. وأبعد عن مرمى أبصارهم .. وأبلغ محطة "هان" فى اليوم الثالث .. وأكون بذلك قد سبقت أول القادمين منهم بيوم كامل .

(ينشد)

سير بالنهار. وسرى بالليل ..

أحرزت السبق .

بفضل عملى أحرزت السبق

إن الضعيف يظل فى المؤخرة

أما القوى فيبلغ الهدف

. . .

– فى نهاية الطريق –

التاجر : الحمد لله .. ها أنذا قد بلغت محطة "هان" .. سبقتهم بيوم كامل .. رجالى أضناهم السفر .. تفوق فى السرعة .. ضرب رقم قياسى. صراخ.

ولكن هذا لا يعنيهما فى شىء .. صعلوك يحزم الأمتعة على الأرض .. وهذا هو كل شىء. وهما لا يجرؤون أن أن ينبسا بحرف .. فالبوليس موجود والحمد لله .. ليحافظ على النظام .

الشرطيان : (يقتربان) – هل كل شىء على ما يرام ياسيدى ؟

هل أنت راض عن رحلتك وعن رجالك ؟

التاجر : نعم .. نعم .. كل شىء على ما يرام .. استطعت أن أصل إلى هنا فى ثلاثة أيام بدلا من أربعة .. إن الطريق وعرة .. ولكنى تعودت أن أحسن كل عمل أقوم به. كيف حال الطريق بعد محطة "هان"؟ ماذا ينتظرنا هناك ؟

الشرطيان : ستدخل الآن ياسيدى فى صحراء "جاهى" حيث لا تقع عيناك على مخلوق ..

التاجر : ألا يمكن أن يحرسنى البوليس ؟

الشرطيان : (يبتعدان) لا ياسيدى .. نحن آخر من تقابلهم من رجال الشرطة ..

...

طرد الدليل فى محطة هان

الدليل : لقد تغير التاجر تغيرا ملحوظا بعد لقائنا مع رجال الشرطة أمام محطة هان .. إنه يتحدث إلينا بصوت لم نألفه منه ويتلطف معنا. ومع ذلك فنحن لا نجد منه تقديرا. إنه لم يدخر لنا يوما واحدا نستريح فيه عند محطة "هان". قبل أن نتوغل فى صحراء "جاهى" .. إنى لأسائل نفسى .. ماذا بوسعى أن أفعل لكى أوصل الأجير إلى"أورجا" وهو على ماهو عليه من التعب والإجهاد .. وكلما تفكرت فيما يبديه لنا التاجر من لطف المعاملة توجس قلبى خوفا. فمن يدرى ماذا يخبئ لنا .إنه لا ينفك يتجول وحده وهو يفكر .. ومع كل فكرة جديدة .. يولد عنده الخوف من خيانة جديدة .. وعلى كل حال فعلىَّ أنا والأجير أن نحتمل كل شيء .. حتى لا نحرم من أجرنا .. ونطرد فى عرض الصحراء ..

التاجر : (يقترب) خذ نصيبك من الدخان. ومن ورق السجائر. عجبا ! إنكم لا تألون جهدا فى سبيل اللذة التى تجدونها بتسويد حلوقكم بهذا الدخان. ولكن

الحمد لله .. فقد جلبنا معنا منه ما يزيد على حاجتنا .. إن دخاننا سيكفينا حتى نصل إلى (أورجا) ..

الدليل : (يخاطب نفسه) – دخاننا ..

التاجر : استرح ياصديقى قليلا. لم لا نجلس ؟ فى رحلة كهذه يصبح الناس إخوة متحابين .. أما إن كنت تفضل الوقوف فأنت وشأنك. إن لكم عاداتكم .. وأنتم أحرار بالطبع .. ليس لى أن أجلس إلى جانبك وليس لك أن تجلس إلى جانب الأجير .. بهذا جرى العرف .. وعلى هذه الفوارق يقوم نظام العالم .. ولكن لن يمنعنا شيء من أن ندخن معا .. أليس كذلك ؟ (يضحك) .. هذا هو ما يعجبنى فيك. فلكل منا منزلة .. حسنا. سنحزم المتاع كله .. ليسهل حمله. ولا تنس الماء .. فالظاهر أن الآبار نادرة – فى هذه الصحراء .. إيه .. على فكرة .. أريد أن أنبهك ياصاحبى إلى شيء ربما غاب عنك .. هل لاحظت النظرة التى رمقك بها الأجير عندما عنفته لتحثه على السير .. كانت نظرة .. النهاية .. لا توحى بالاطمئنان .. المهم أنك ستضطر فى الأيام القادمة أن تحثه على السير ..

باستمرار .. وربما اضطررت أن تكون أكثر غلظة معه فعلينا أن نسرع الخطى بأى ثمن. وهذا الأجير لا يؤمن جانبه. وسندخل الآن فى طريق موحش .. صحراء .. لا أثر فيها للحياة. وربما سولت له نفسه أن يغتنم الفرصة فينزع القناع عن وجهه. إنك من جنس أرقى منه .. فأنت تكسب أكثر مما يكسب ولا تحمل شيئا فوق ظهرك وفى هذا ما يكفى لكى يكرهك. صدقنى .. كن حذرا منه فذلك أدنى إلى العقل .. ما أعجب هؤلاء الناس .. إليك بالدخان يا أخى ..

الدليل : شكرا ياسيدى ..

الأجير : سمعت التاجر يقول إن استخراج الزيت من الأرض يخدم الإنسانية. فسوف تمد السكك الحديدية فى هذه المنطقة ويفيض الخير وينعم الناس بالرخاء .. إنه يقول إن السكة الحديد ستمد هنا. فماذا يكون مصيرى ؟ وكيف أكسب قوتى ؟

الدليل : لا تنزعج. فلن تمد على الفور .. لقد سمعت من يقول إن من يعثر على الزيت يخفى أمره عن

الناس .. وسمعت أن من يقع على بئر يتدفق منها الزيت يرشوه الناس بالمال ليسدوا فمه. وهذا هو السر فى لهفة التاجر .. فليس البترول ما يريد .. بل المال لكى يسكت ..

الأجير : لست أفهم شيئا ..

الدليل : لا أحد يفهم ..

الأجير : ستكون الرحلة فى الصحراء أشق مما كانت .. ليت ساقى تحملانى إلى النهاية ..

الدليل : بالطبع ..

الأجير : هل يعترضنا اللصوص فى الصحراء ..

الدليل : يجب أن تكون على حذر من البداية .. فقطاع الطرق يتكاثرون فى مشارف المحطة ..

الأجير : وبعد ..

الدليل : إذا ما عبرت نهر (مير) فعليك أن تلتزم سكة الآبار .

الأجير : هل تعرف الطريق ..

الدليل : نعم ..

الأجير : وهل من العسير عبور نهر (مير)؟

الدليل : ليس عسيرا فى مثل هذا الموسم .. أما فى موسم الفيضان فيشتد التيار ويلوح خطر الموت ..

التاجر : (لنفسه) – هاهو يتحدث مع الأجير .. بل إنه لا يأنف أن يجلس ويدخن معه ..

الأجير : وما العمل إذن ..

الدليل : فى أغلب الأحيان يضطر الإنسان إلى الانتظار ثمانية أيام حتى يتسنى عبوره فى أمان ..

التاجر : (لنفسه) – أرأيتم .. إنه يوصيه بالتريث والحرص على حياته الغالية. إنه يتآمر مع الأجير .. ولا سلطان له عليه. ومن يدرى ؟ ربما كان يدبر ما هو أخطر من هذا .. إنهما قد أصبحا منذ اليوم اثنين ضد واحد. ولاريب أنه سيتلطف فى معاملته بمجرد أن نتوغل فى الصحراء. لا بد من التخلص من الرجل بأى ثمن (يقترب منهما ويخاطب الدليل قائلا) : كلفتك بأن تربط الأمتعة ربطا متينا. افعل الآن إن كنت تنفذ أوامرى (يجذب الرباط بشدة

فينقطع) أتسمى هذا رباطا إن كل رباط ينقطع يضيع علينا يوما بأكمله .. وهذا هو ما تريده بالضبط .. أن تريح نفسك ..

الدليل : إننى ما أردت أن أريح نفسى .. والرباط لا ينقطع ما دمت لا تجذبه بشدة ..

التاجر : أيه .. وترد على أيضا .. هل انقطع الحبل أم لا ؟ أتجرؤ أن تقول فى وجهى إنه لم ينقطع ؟. من العبث أن يضع الإنسان ثقته فيك .. كان فى نيتى أن أعاملك معاملة طيبة ولكن المعاملة الطيبة لا تجدى معكم .. وماذا يرجى منك .. إنك لاتصلح فى شيء .. وليس لك أن تكون حمالا فضلا عن أن تكون دليلا .. ثم أن لدى من الأدلة ما يحملنى على الاعتقاد بأنك تحرض الأجير على ..

الدليل : أية أدلة ..

التاجر : تريد أن تعرفها .. إننى أسرحك الآن لتعرفها على مهلك ..

الدليل : لا يمكنك أن تطردنى الآن فى منتصف الطريق ..

التاجر : من حسن حظك أننى لم أسلمك لمكتب العمل فى (أورجا) .. خذ. هذا أجرك .. حسابك إلى هنا. (ينادى عامل الفندق) ياعامل الفندق ! أنت شاهد .. لقد دفعت له أمامك ما يستحقه (للدليل) أيها الدليل أنصحك ألا ترينى وجهك فى "أورجا" .. (يصعد النظر فيه من أعلى إلى أسفل) بإذن الله لن تفلح أبدا .. (يبتعد) .

...

التاجر : سأرحل فورا .. وإذا حدث لى مكروه فأنت شاهد على أننى سافرت من هنا .. مع هذا الرجل الأجير.. إنه لا يفهم وهكذا لن يعرف أحد مصيرى .. والأدهى من هذا أن هؤلاء الخنازير يعلمون أنه ما من إنسان فى هذه المنطقة يعرف عنى شيئا .. (يجلس ليكتب خطابا) ..

الدليل : (للأجير) – كانت غلطتى أننى جلست بجوارك. افتح عينيك فلا تأمن لهذا الرجل .. إننى لأعجب كيف ستهتدى إلى الطريق .. (يناوله زمزميته) خذ. احتفظ بهذه الزمزمية .. إخفها بعيدا عنه

لأنكما إن ضللتما الطريق فلن يتردد فى أخذ زمزميتك .. تعال معى .سأبين لك الطريق .. .

...

الأجير : وددت لو لم تفعل .. فلو سمعك تتحدث معى لطردنى. ولفقدت كل شىء .. لن يلزمه أحد بدفع أجرى فلست مثلك عضوا فى النقابة .. إن على أن أصبر وأحتمل ..

التاجر : (لصاحب الفندق) – أعط هذا الخطاب للقافلة التى ستمر من هنا غدا فى طريقها إلى "أورجا" .. وسأستأنف الرحلة أنا والأجير ..

عامل الفندق : (ينحنى ويأخذ الخطاب) ولكنه لا يعرف الطريق وليس دليلا ..

التاجر : (لنفسه) – إذن فهو يفهم جيدا .. ولم يكن يريد أن يفهم منذ لحظة .. إنه يخاف على وظيفته .. فهو .. لايريد أن يكون شاهدا فى مثل هذه الأمور (لصاحب الفندق فى جفاء) صف للأجير الطريق إلى"أورجا ". (عامل الفندق يخرج ويشرح للحمال الطريق إلى"أورجا") .. (الحمال يهز رأسه علامة الفهم).

لاريب أن هناك معركة تنتظرنا فى الطريق. أين مسدسى ؟ (يخرجه من جيبه وينظفه) ..

ينشد :

الضعيف يسقط. أما القوى فيصمد للنضال ..

لم تخرج الأرض زيتها ؟

لم يحمل الأجير متاعى ؟

يا أيها الزيت ..

سأستخرجك برغم الأرض ..

وبرغم الأجير ..

وفى هذا الصراع .. تكتب السيادة لهذا القانون .. الضعيف يسقط .. أما القوى فيصمد للنضال .

(يدخل الساحة وقد تهيأ للرحيل)

(للأجير) – هل تعرف الآن طريقك ..

الأجير : نعم ياسيدى .

التاجر : إلى الأمام .

(يخرجان .. الدليل وعامل الفندق يشيعانهما بأبصارهما)

الدليل : إنى لأعجب إن كان قد فهم حقا. لقد فهم بأسرع مما كنت أقدر له ..

...

– ٤ –

(حوار فى طريق خطر)

الأجير : (ينشد) :

إلى أورجا .. إلى أورجا

نحن فى طريقنا إلى هناك

وأنا أسير وأسير وقبلتى أورجا

حيث لا يعرف اللصوص مكانى

ولا الصحراء تفرق بيننا

فى أورجا سأقبض أجرى

وأعرف طعم الأكل .

التاجر : ياله رائق .. البلد ملغمة باللصوص .. والأشرار يحومون حول المحطات ومع هذا يغنى .. (للأجير) هذا الدليل .. ما ارتاح إليه قلبى يوما .. ساعة أنفه فى السماء .. وساعة ينحنى ويلعق الحذاء ..ياله من ثعلب ..

الأجير : نعم ياسيدى (ينشد) :

الطريق وعرة إلى أورجا

والعذاب رهيب إلى أورجا

ترى هل توصلنى قدماى إلى أورجا

ولكنى سأقبض أجرى فى أورجا

وسوف أستريح ..

التاجر : هل تستطيع أن تقول لى ما الذى يجعلك تغنى .. ما الذى يدخل السرور على قلبك .. آه .. إنك لا تخاف من اللصوص ولا تخشى قطاع الطريق .. كل ما ينهبون منك لا يهمك أمره فى شىء .. وكل ما تفقده هو ملكى .. أليس كذلك ..

الأجير : ينشد :

وامرأتى فى أورجا

وولدى ينتظرنى هناك

التاجر : كف عن هذا الغناء .. لا داعى إليه الآن فسوف يدل اللصوص علينا فيقتفون آثارنا .. يمكنك أن تغنى غدا كما يحلو لك ..

الأجير : نعم ياسيدى ..

التاجر : (الذى يسير فى المقدمة) – وإذا هجم عليه من يريد سرقته فهل يفكر فى الدفاع عن نفسه .. لن يخطر فى باله لحظة أن مالى من ماله .. جنس ملعون. وهو لا يفتح فمه بحرف .. والصامتون هم أخطر الناس .. ما الذى يدور فى رأسه .. محال على أن أعرف ..ها هو يضحك وليس ما يدعو إلى الضحك .. ما الذى يضحكه ولم يجعلنى أسير أمامه .. إنه هو الذى يعرف الطريق لا أنا .. إلى أين يسير بى .. (يلتفت وراءه فيرى الأجير يمسح آثار أقدامهما على الرمال) أيها الأجير !. ماذا

تفعل عندك ؟

الأجير : امسح آثار أقدامنا ياسيدى ..

التاجر : ولم هذا ..

الأجير : خوفا من قطاع الطريق ..

التاجر : آه .. قطاع الطريق .. ولكن يجب أن أعرف إلى أين انتهيت بى حقا .. إلى أين تقودنى .. امش أمامى (يستأنفان طريقهما فى صمت يخاطب نفسه) الحق أن آثار الأقدام ترى بوضوح على هذه الرمال الناعمة وربما كانت فكرة نيرة تلك التى جعلته يزيلها من على الرمال ..

...

الأجير : نحن نسلك الطريق الصحيح ياسيدى .. فها هو نهر مير .. إن عبوره فى الأيام العادية أمر غير عسير .. أما فى موسم الفيضان فإن التيار يثور ويصطخب والموت يترصد كل من يخاطر بعبوره .. والنهر الآن فى موسم فيضان ..

التاجر : ولكن لا بد من عبوره ..

الأجير : غالبا ما يضطر الإنسان إلى الانتظار ثمانية أيام حتى يزول الخطر .. أما الآن فالخطر موجود ..

التاجر : لايمكننا أن ننتظر يوما آخر ..

الأجير : إذن فلنبحث عن بقعة ضحلة أو عن مركب ينقلنا إلى الضفة الأخرى ..

التاجر : لا يمكننا أن ننتظر يوما آخر ..

التاجر : سيستغرق ذلك وقتا طويلا ..

الأجير : ولكنى لا أحسن السباحة ..

التاجر : ليس النهر بعيد الغور..

الأجير : (يسقط حصاة فى الماء) – بل هو بعيد الغور جدا ..

التاجر : ستجيد السباحة بمجرد أن تجد نفسك فى الماء .. جرب وسوف ترى. لا مفر لك من هذا .. انظر إلى .. أنا مثلا من طبقة أعلى منك بمراحل .. ولكن ما الذى يجعلنا نذهب معا إلى "أورجا" .. لكى نخدم الإنسانية باستنباط الزيت من الأرض .. أتفهم ذلك أيها الصعلوك .. سوف يتدفق الزيت من

الأرض وتمد السكك الحديدية ويعم الرخاء .. سيتوفر الغذاء والكساء و .. و .. مما لا يعلمه إلا الله. ومن الذى يفعل هذا .. لمن يرجع الفضل فيه؟ لنا نحن .. التقدم .. الثورة .. المدنية .. كل هذا ينتظرنا فى نهاية رحلتنا .. هل دار فى خلدك أن البلاد كلها تنتظر إليك أنت .. يا أيها الأحمق البليد .. وها أنت تتردد فى القيام بواجبك ..

الأجير : (وقد كان يستمع إلى هذا الحديث كله وهو يهز رأسه باحترام) إننى لا أحسن السباحة ..

التاجر : وأنا أيضا أخاطر بحياتى أيها الأجير (الأجير ينحنى فى خضوع) .. أما أنت فقد رزقت نفسا دنيئة وشهوانية .. فلا يهمك إلا الربح .. ما الذى يتعجلك إلى "أورجا" .. إن مصلحتك فى التريث والإبطاء ما استطعت مادمت ستجد أجرك فى الغد .. إنك تسخر من الرحلة فى قرارة نفسك .. ما من شىء يشغل بالك إلا المال ..

الأجير : (يقف على ضفة النهر مترددا) وما العمل ؟

(ينشد)

ها هو النهر الخطر

وعلى شاطئه رجلان

أما أحدهما فيلقى بنفسه فى الماء

وأما الآخر فيقف مترددا

أيكون الأول شجاعا والثانى جبانا ..

وفيما وراء النهر ، بعد أن يجتاز الخطر ، يذهب

أحدهما لينجز أمرا

ويصعد فوق الضفة التى بلغها مزهوا بالنصر

إنه يستحوذ على ممتلكاته

ويجنى ثمرة جديدة

أما الآخر، وقد جاز الخطر

فقد تقطعت أنفاسه، ولم يجد شيئا

وهناك من الأخطار ما يترصده

ليقضى على البقية الباقية منه .

أشجاعان هما ؟

أحكيمان هما ؟

وا أسفاه !

لقد انتصرا على النهر معا

ولكنه حين أدرك الضفة الأخرى

أصبح الغالب المنتصر ..

يقول نحن ولا يقول أنت وأنا ..

لقد انتصرنا على النهر معا

أما أنت فقد انتصرت على وحدى .

أبتهل إليك ياسيدى أن تتركنى أستريح قليلا. لقد هد الحمل قواى. وربما استطعت إذا استرحت قليلا أن أعبر النهر خيرا مما أفعل الآن .

التاجر : إننى أعرف وسيلة أفضل. سأثبت مسدسى فى ظهرك .. ولنر إن كنت ستعبر النهر أم لا .. (يدفع الأجير أمامه) .. (يخاطب نفسه) لم أعد أرى خطرا من عبور النهر .. لا بد من إنقاذ ثروتى ..

(ينشد)

هكذا ينتصر الإنسان

على الصحراء والنهر المصطخب

الإنسان ينتصر على نفسه

لكى يحصل على البترول

الذى تحتاجه الإنسانية .

...

التاجر : لا داعى لأن تنصب ... الخيمة الليلة. قلت لك ذلك من قبل بعد أن كسرت ذراعك عند عبورك النهر .. (الأجير يستمر فى عمله) لو لم أنتشلك من التيار لغرقت فى اليم (الأجير يواصل عمله) من الواضح أننى لست مسئولا عما أصابك .. إن جذع الشجرة كان من الممكن أن يصيبنى أنا أيضا .. ولكن لا بد لى على كل حال من الاعتراف بأن هذا الحادث وقع لك فى رحلة قمت أنا بإعدادها .. ليس معى الآن شىء من المال .. ولكنى سأصرف أجرك من البنك حين نصل إلى"أورجا " .

الأجير : نعم يا سيدى..

التاجر : نعم يا سيدى .. إنه لا يجد شيئًا يرد به على غير هذا..ولكن كل نظرة من نظراته تحمل اللوم والتأنيب .. ليس فى الوجود من هم أشد حمقًا من هؤلاء الأجراء ... يمكنك أن تنام (الأجير يبتعد ويجلس فى ركن منزو) الحق أن مصيبته لا تؤلمنى.. فماذا يضيره أن ينقص من أعضائه أو يزيد .. إن مثل هذا الوغد لا يرى إلى أبعد من أنفه .. ما الذى يدعوهم إلى الحرص على أشخاصهم .. إنهم ناقصون بطبيعتهم .. إن الخزاف الذى يفشل فى صنع وعاء يصبح هو نفسه فاشلاً .. وهؤلاء لا يحسون أنهم فاشلون .. إنهم منبوذون .. الإنسان الناجح وحده هو الذى يصمد للنضال..

(ينشد):

كتب الموت على الضعيف

كما كتب القتال على القوى

تلك سنة الحياة

ضربة يد للقوى وضربة قدم للضعيف

تلك سنة الحياة

من سقط فدعه يسقط

واضربه أيضًا بيديك وقدميك

تلك سنة الحياة

من ينتصر فى المعركة يتبوأ مكانه من المأدبة

وهذا هو جزاؤه

والطاهى لم يحص عدد الموتى

وحسن ما فعل

والله الذى خلق كل شىء

قد خلق السيد والعبد

والحكمة فيما رآه

حين يسير كل شىء على ما يرام

يمدحك الناس

وعندما يفسد كل شىء

يسخرون منك

تلك سنة الحياة

(الأجير يقترب. التاجر يراه فيتوجس خوفًا)

لقد سمعنى. قف. لا تبرح مكانك. ماذا تريد..

الأجير : لقد نصبت الخيمة يا سيدى ..

التاجر : ماذا تقصد بالتسكع حولى فى الظلام. لست أحب هذا.

أريد إذا اقترب منى أحد أن أسمع خطاه تسبقه إلى .. وإذا تحدث إلى أحد أن أرى عينيه – .. ثم ولا تشغل نفسك بى (الأجير يبتعد) قف .. عد إلى الخيمة .. أما أنا فسأبقى هنا. فقد تعودت الجلوس فى الهواء الطلق (الأجير يدخل الخيمة) .. ترى ماذا سمع من نشيدى .. إنى لأسأل نفسى ماذا عساه يدبر لى الآن .. ماذا يدور فى رأسه .. ها هو يتحرك ثانية.. (يرى الأجير وهو يرتب فراشه بعناية).

الأجير : المهم أن لا يلاحظ شيئًا .. فليس من المناسب أن يُقطع العشب بذراع واحدة.

التاجر : الأحمق من لا يحتاط لنفسه.. والثقة بالناس هى الحمق بعينه. لقد قضيت على هذا الرجل. ولعلى

قد حطمته مدى الحياة. وإذا بدا له أن يعاملنى بالمثل فلن يكون ذلك إلا تصرفًا عادلاً من جانبه. والقوى إذا أغمض جفنه فهو ضعيف.. يجب حقًا أن لا نستسلم للنوم.. من الخير لى أن أقضى الليلة فى الخيمة.. فالإنسان هو الإنسان نفسه.. فى سبيل أجرة وهمية .. يسير هذا الرجل إلى جانبى .. أنا الذى يملك المال الوفير.. ومع ذلك فكلانا يتجشم مشقة الطريق. وإذا بدا منه ما يدل على التعب كان جزاؤه الضرب.. وإذا جلس الدليل إلى جواره طرد الدليل .. وإذا بدا أراد أن يمسح آثار أقدامنا على الرمال، وقد يكون ذلك خوفًا من قطاع الطريق، يتهم بالغدر وسوء النية .. ولما وقف مترددًا أمام النهر رفعت مسدسى وسددته إلى ظهره. فهل أبيت فى خيمة واحدة مع هذا الرجل ؟. كيف أصدق أنه صفح عن كل هذه الإهانات ؟. ترى ماذا يبيت لى الآن ؟. ليتنى أعرف ما يدور فى خلده .. من الحمق أن أبيت معه تحت سقف واحد ..

(فاصل)

التاجر : لماذا تقف جامدًا فى مكانك ؟

الأجير : سيدى .. إن الطريق لا يؤدى إلى أبعد من هذا ..

التاجر : آه .. وبعد ..

الأجير : سيدى .. اضربنى كما تشاء .. ولكن لا تضربنى على ذراعى المكسور .. لقد ضللت الطريق ..

التاجر : ألم يصفه لك عامل الفندق فى محطة "هان" ؟

الأجير : نعم ياسيدى ..

التاجر : وقد وعيت ما قال ..

الأجير : لا ياسيدى ..

التاجر : لماذا أجبت بالإيجاب ؟

الأجير : خشيت أن تطردنى ياسيدى .. كل ما أعرفه أن علينا أن نسلك طريق الآبار ..

التاجر : حسن .. إذن فاتبع الآبار ..

الأجير : ولكنى لا أعرف أين هى الآبار ..

التاجر : تقدم ولا تحاول أن تسخر بى .. لقد سلكت الطريق الصحيح حتى الآن .. إنى أعرف ذلك تمامًا ..

الأجير : ربما كان من الخير أن ننتظر القافلة القادمة ..

التاجر : كلا ..

(يتابعان سيرهما)

(فاصل)

– قسمة الماء –

التاجر : هيه .. إلى أين تذهب ؟ إنك تتجه نحو الشمال والشرق من هنا (الأجير يواصل سيره فى هذا الاتجاه) قف .. ماذا دهاك .. (الأجير يقف ولكنه يتحاشى النظر إلى سيده) .. أنت لا تقوى على النظر فى عينى .. هيه ..

الأجير : ظننت أن الشرق من هناك ..

التاجر : طيب .. صبرًا .. سأعلمك كيف تقودنى (يضربه) هل عرفت الآن ؟. هل عرفت أين أنت من الشرق ؟

الأجير : (يصرخ) آى .. آى .. لا تضربنى على ذراعى ..

التاجر : تكلم .. أين الشرق ؟

الأجير : هناك ..

التاجر : وأين الآبار ؟

الأجير : هناك ..

التاجر : (وقد جن جنونه) هناك .. هناك .. لم إذن تتجه وجهة أخرى ؟ (يضربه) ..

الأجير : نعم ياسيدى ..

التاجر : أين الآبار؟ (الأجير يسكت. التاجر يتظاهر بالهدوء) ألم تقل منذ لحظة إنك لا تعرف طريقها .. ألا تعرف أين هى؟. (الأجير يسكت .. التاجر يضربه) ألا تعرف ؟

الأجير : نعم ..

التاجر : (وهو يضربه) – تعرف مكانها ..

الأجير : لا .

التاجر : أعطنى زمزميتك .. من حقى أن أحتفظ بالماء كله لنفسى ما دمت قد ضللت الطريق .. ذلك من حقى ولكنى لن ألجأ إليه .. وسوف أقتسم هذا الماء معك .. اشرب جرعة منه وتابع طريقك (لنفسه) ها أنا

قد نسيت ..ما كان لى أن أضربه فى مثل هذا الموقف الذى نحن فيه ..

التاجر : لقد مررنا بهذا المكان من قبل .. وهذه آثارنا على الرمال ..

الأجير : إذا صح أننا مررنا به فلا بد أننا لم نحد كثيرًا عن الطريق ..

التاجر : انصب الخيمة .. إن زمزميتك فارغة وكذلك زمزميتى (مخاطبًا نفسه) فلأتوارى عنه .. إنه لو رأى عندى بقية ماء أشربه لقتلنى .. فليس فى دماغه بصيص من نور العقل. لو اقترب منى فسأطلق عليه الرصاص .. (يخرج مسدسه ويضعه على ركبته) ليتنا نعود إلى آخر بئر تركناها وراءنا .. لقد جف حلقى، ولا يستطيع الإنسان أن يتحمل العطش .

الأجير : من واجبى أن أعطيه الزمزمية التى سلمها لى الدليل فى المحطة .. فلو أنهم عثروا علينا ووجدوا معى زمزمية ملأى بالماء بينما هو يكاد يموت من العطش لقدمونى إلى المحاكمة .

التاجر : ارم هذا الحجر من يدك (الأجير لا يفهم ويمد يده بالزمزمية .. عندئذ يطلق التاجر عليه الرصاص)
لقد صح ما توقعت. خذ! أيها الوحش القذر ..

...

أغنية ... المحكمة

(الممثلون ينشدون وهم يغيرون المنظر إلى مشهد المحكمة)

بعد الجريمة

يأتى دور المحكمة

وعندما يسقط البرىء مضرجًا فى دمائه ..

يلتف القضاة حول جثته ليحاكموه

وعلى قبر البرىء المقتول

ينبغى أيضًا أن يغتال حقه .

إن حكم المحكمة

يسقط كما يسقط ظل السكين القاتلة .

هذه النسور الجائعة

إلى أين تتجه ؟

إنها لم تجد شيئًا تفترسه فى الصحراء

وسوف يقدم القضاة لها الطعام

ها هنا يلجأ الجناة

والجلادون هنا فى أمان

ها هنا يخفى اللصوص ما غنموه.

ويطوونه فى ورقة

دونت فيها نصوص القانون .

-٨-

الدليل : هل أنت زوجة الأجير المقتول ؟ أنا الدليل الذى ألحق زوجك بالعمل .. سمعت أنك ستطالبين المحكمة بتوقيع العقاب على التاجر وبالتعويض عن الخسارة التى لحقت بك .. ولهذا سارعت بالحضور لأننى أملك الدليل على أن زوجك مات شهيدًا .. الدليل هنا فى جيبى ..

صاحب الفندق : (للدليل) سمعت أن فى جيبك دليلا .. إننى أنصحك .. دعه فى جيبك ...

الدليل : وزوجة الحمال تعود إلى بيتها خالية الوفاض؟

صاحب الفندق : أتريد أن يدرج اسمك فى القائمة السوداء ؟

الدليل : سأفكر فى نصيحتك .

(تجلس المحكمة – وكذا المتهم .. وكذا أفراد القافلة الثانية وصاحب الفندق) .

القاضى : فتحت الجلسة .. الكلمة لزوجة الضحية ..

الزوجة : لقد حمل زوجى أمتعة هذا السيد عبر صحراء "جاهى" .. وقبل نهاية الرحلة بقليل قتله هذا السيد.. أطلب معاقبة القاتل ولو أن هذا لا يصلح لإعادة الحياة إلى زوجى ..

القاضى : وتعويض الأضرار ؟

الزوجة : نعم .. لأننى وطفلى فقدنا عائلنا الوحيد ..

القاضى : (للزوجة) – إن حديثى إليك لا يحمل أى توبيخ. إن طلباتك المادية ليس فيها إخلال بالشرف .. (ثم

إلى أفراد القافلة الثانية) لقد كانت إرسالية التاجر كارل لانجمان متبوعة بإرسالية أخرى التحق بها الدليل المطرود .. وقد رأى أفراد هذه الإرسالية أفراد سيئة الحظ على مسافة تقل عن ميل من الهدف. ما الذى رأوه عندما اقتربوا ؟

رئيس القافلة : لم يكن فى زمزمية التاجر نقطة ماء .. وكان الحمال مقتولا وممدودًا على الرمال ..

القاضى : (للتاجر) هل قتلت ذلك الرجل ؟

التاجر : نعم. لقد هاجمنى بغتة ..

القاضى : وكيف هاجمك ؟

التاجر : حاول أن يقتلنى بحجر من الخلف ..

القاضى : هل تستطيع أن تفسر لنا الدوافع التى حملته على هذا الاعتداء ؟

التاجر : لا ..

القاضى : هل أرهقت رجالك فوق طاقتهم ؟

التاجر : لا ..

القاضى : أين الدليل الذى رافقك فى الجزء الأول من الرحلة ؟

الدليل : موجود ..

القاضى : ما رأيك أيها الدليل ؟

الدليل : كان التاجر بقدر ما أعلم يريد أن يصل إلى أورجا بأسرع ما يمكن لكى يفوز بامتياز البترول .

القاضى : (لرئيس القافلة) هل كانت القافلة التى تتقدمكم تسير بسرعة كبيرة جدًا ؟

رئيس القافلة (الثانية) : لا .. لم تكن مسرعة جدا .. لقد سبقتنا بيوم واحد وظلت محتفظة بهذا السبق ..

القاضى : (للتاجر) – هل يفهم من هذا أنك أرهقت رجالك فى السير ؟

التاجر : أنا لم أرهق أحدًا .. لقد كان الأمر كله فى يد الدليل.

القاضى : (للدليل) ألم يأمرك المتهم صراحة بأن تحث الأجير على السير؟

الدليل : أنا لم أكلفه بالسير فوق طاقته بل ترفقت فى معاملته ..

القاضى : ولماذا أعفيت من عملك ؟

الدليل : وجد التاجر أننى أترفق بالأجير وأننى أحسن معاملته أكثر مما ينبغى ..

القاضى : ألم يكن ذلك مباحا ؟ وهذا الأجير الذى حرم عليك، كما تقول، أن تحسن معاملته .. هل كنت تشعر أنه متمرد بطبيعته ؟

الدليل : الأجير؟ على العكس لقد كان يصبر على كل شيء .. كان يخشى كما قال لى أن يفقد عمله .. ولم يكن عضوًا فى أية نقابة ..

القاضى : إذن فقد تحمل ما لا يطيق. أجب. لا جدوى من الإغراق فى التفكير قبل الكلام. ستخرج الحقيقة من بين شفتيك بدون حاجة إلى التفكير .

الدليل : لقد رافقت القافلة حتى محطة هان ثم تركتها ..

صاحب الفندق : (لنفسه) – أحسن الكلام ..

القاضى : (للتاجر) هل حدث بعد ذلك مايبرر اعتداء الأجير عليك ..

التاجر : لا أعلم ..

القاضى : اسمع ! لا تحاول أن تظهر بما يخالف حقيقتك .. فلن تنقذ نفسك منى بهذه الطريقة. إذا كنت حقًا قد عاملت أجيرك معاملة طيبة فكيف تفسر كرهه لك؟ خير لك أن تبرر هذه العاطفة التى كان يشعر بها نحوك. بذلك تستطيع أن تقول إنك كنت فى حالة دفاع مشروع عن النفس. على المرء دائمًا أن يتدبر مايقول ..

التاجر : لدى ما أعترف به. لقد ضربته مرة ..

القاضى : آه .. وهل تعتقد أن ضربك له مرة يمكن أن يثير كل هذا الحقد فى نفسه ؟

التاجر : لا. ولكنه حين رفض أن يعبر النهر سددت مسدسى إلى ظهره وفضلا عن هذا فقد كسرت ذراعه بينما كان يجتاز النهر. هنا أيضًا أعترف بخطأى .

القاضى : (يبتسم) وهل هذا هو رأى الأجير ؟

التاجر : (يبتسم أيضًا) بالطبع. الواقع أننى انتشلته من

الغرق ..

القاضى : إذن فقد هيأت كل الأسباب التى تجعل الأجير يحقد عليك خصوصًا بعد أن طردت الدليل من خدمتك. وقبل هذا ..

(للدليل بإصرار)

اعترف بالحقيقة. ألم يكن الأجير يحقد على التاجر؟. ثم إن هذا أمر مفهوم. رجل يخاطر بنفسه فى المهالك نظير أجر متواضع. رجل محطم معرض للموت فى أية لحظة. فى سبيل من؟ ولأيه غاية ؟ لحساب رجل نستطيع أن نقول إنه لايدفع له شيئًا. فكيف إذن لا يكرهه ؟

الدليل : إن الكره لم يعرف طريقه إلى قلبه ..

القاضى : فلنسمع الآن شهادة صاحب الفندق فى محطة هان. لعله يوضح لنا العلاقة بين التاجر ورجاله . ياصاحب الفندق : كيف كان التاجر يعاملهما ؟

صاحب الفندق : معاملة طيبة ..

القاضى : هل تحب أن أخلى القاعة من الحاضرين ؟ هل

تخشى أن يصيبك أذى لو اعترفت بالحقيقة ؟

صاحب الفندق : لا لا .. لامبرر لذلك فى مثل هذا الموقف .

القاضى : كما تشاء ..

صاحب الفندق : لقد رأيته وهو يعطى الدخان بنفسه للدليل، ويدفع أجره كاملا وهذا أمر نادر. أما الأجير فقد كان يعامله معاملة حسنة .

القاضى : هل محطتك هى آخر نقطة للبوليس فى هذا الطريق ؟

صاحب الفندق : نعم ياسيدى وبعدها صحراء جاهى؛ حيث لا يرى الإنسان أثرًا للحياة .

القاضى : فهمت. إن رقة المعاملة التى بدت من التاجر فى محطة هان كانت مرهونة بظروفها بل ربما جاز لنا أن نقول إنها كانت مغرضة .

التاجر : لقد ظل يغنى طوال الطريق .. فلما هددته بمسدسى انقطع عن الغناء جملة ..

القاضى : أرأيت ؟ لقد غضب عليك .. مفهوم .. مفهوم .

التاجر : أود أن أعترف بسر آخر. عندما ضللنا الطريق

اقتسمت معه زمزمية ماء ولكنى قررت أن أشرب الزمزمية الثانية وحدى ..

القاضى : وهل رآك وأنت تشرب ؟

التاجر : ذلك ما خطر ببالى. عندما رأيته يتقدم نحوى وفى يده حجر كبير كنت أعلم أنه يكرهنى. فمنذ أن وطئت أقدامنا أرض الصحراء وأنا لا أتوانى لحظة من ليل أو نهار عن الاحتراس لنفسى .. تجمعت لدى كل الأسباب التى تحملنى على الاعتقاد بأنه سيهجم على فى أول فرصة تسمح له ولو لم أقتله لقتلنى .

الزوجة : أريد أن أقول شيئًا ياسيدى. محال أن يكون زوجى قد هاجمه. إنه لم يعتد على أحد طوال حياته .

الدليل : هدئى نفسك. إن فى جيبى الدليل على براءته .

القاضى : هل عثر أحد على الحجر الذى هددك به الأجير .

رئيس القافلة الثانية : (مشيرًا إلى الدليل) لقد أخذه هذا الرجل من يد القتيل (الدليل يشير إلى الزمزمية) .

القاضى : أهذا هو الحجر ؟ هل يمكنك التعرف عليه ؟

التاجر : نعم هو بعينه .

قاضى اليمين : إن ما تراه ليس حجرًا بل زمزمية .

قاضى اليسار : الآن اتضح الأمر. فلم يكن الأجير قد بيت النية على قتله .

الدليل : (يحتضن زوجة الأجير) أرأيت ؟ لقد تحقق ما قلته لك .إن زوجك برىء. لقد أعطيته هذه الزمزمية فى محطة هان. وصاحب الفندق يشهد على صدق ما أقول .وهاهى زمزميتى .

صاحب الفندق : ياله من أحمق. لقد ضيع نفسه .

القاضى : محال أن تكون هذه هى الحقيقة. إذن فقد مد يده إليك يريد أن يسقيك .

التاجر : لقد خطر لى أن ما يحمله لا بد أن يكون حجرًا .

القاضى : لا صحة لما تقول فلم يكن حجرًا ما يحمله فى يده بل زمزمية .

التاجر : وكيف كان لى أن أعرف أنها زمزمية ؟ لم يكن لهذا الرجل أى حق فى أن يسقينى .. فما كنت

صديقه فى يوم من الأيام .

الدليل : الحقيقة أنه أراد أن يسقيك .

القاضى : ولكن لماذا يسقيه ؟ لماذا ؟

الدليل : ربما تصور أن التاجر عطشان (يلتفت القضاه إلى بعضهم ويبتسمون) لا شك أنه كان مدفوعًا بحسن النية (القضاة يتبادلون الابتسام من جديد) ولعل الحمق هو الذى دفعه إلى ذلك. الذى لا شك فيه أنه لم يكن بينه وبين التاجر أى شىء .

التاجر : إن صح ما يقول الدليل فلا بد أنه كان بالغ الحمق. فها كم رجلا كسرت ذراعه وسببت له عاهة قد تلازمه مدى الحياة فلو عاملنى بالمثل لكان الحق فى جانبه .

الدليل : نعم لكان الحق فى جانبه .

التاجر : من أجل أجر ضئيل سار هذا الرجل إلى جانبى، أنا الذى يملك المال الوفير .. ومع ذلك فقد قاسينا معا من مشقة الطريق .

الدليل : أخيرًا يعترف ..

التاجر : وكلما ناله التعب ألهبت جسده بالعصا .

الدليل : وتعلم أن هذا ظلم ..

التاجر : إن القول بأن الأجير لم يكن يتحين أول فرصة تسمح له ليقتلني كالقول بأنه كان معتوها فاقد العقل.

القاضي : إذن فأنت معترف بأن الأجير كان على حق في كرهه لك. هذا جميل منك. أليس كذلك ؟ وإذن فأنت حين قتلته فقد قتلت نفسًا بريئة. هذا حق. لكنك لم تقدم على ذلك إلا لأنك لم تكن تستطيع أن تعرف إن كان ما يضمره لك خيرًا أو شرًا. نعم. نعم. مثل هذا يحدث في دوائر البوليس. فأنت ترى عساكر البوليس يطلقون الرصاص على جمهور من المتظاهرين .. على قوم لا شك أنهم مسالمون. فما الذي يجعلهم يطلقون عليهم الرصاص ؟ لماذا يفتكون بهم؟. الجواب بسيط ذلك لأنهم لا يستطيعون أن يفهموا عدم مبادرة هؤلاء المتظاهرين لاقتلاعهم من فوق ظهور خيولهم والفتك بهم لساعتهم .. فإذا أطلقوا عليهم الرصاص فذلك لأنهم خائفون .. هذا هو كل شيء .. وشعورهم بالخوف هو الذي يؤكد سلامة

إدراكهم. لهذا يتعذر عليكم أن تدركوا أن هذا الأجير كان بمثابة الاستثناء من القاعدة .

التاجر : ينبغى أن يلتزم الإنسان بالقاعدة لا بالاستثناء .

القاضى : وهذا ما يؤيد كلامى .. فما الذى دفع هذا الأجير لكى يسقى جلاده ؟

الدليل : لا يمكن أن يكون دافعا معقولا .

القاضى : ينشد :

القاعدة أن العين بالعين

مجنون من يتطلب الاستثناء .

إن مدّ عدوك يده ليسقيك .

فلا تأمنه إن كنت عاقلا .

الدليل : ينشد :

فى النظام الذى رسمتموه لنا

تصبح الرحمة هى الشذوذ والاستثناء

لا تكن إنسانا

فتدفع ثمن إنسانيتك غاليا

الويل لأهل السماح

الويل لمن كان محياه محبوبا

إن أراد أن يساعد جاره

فقف فى طريقه

وإذا تأوه أحد بجانبك

فضع إصبعك فى أذنيك

وإذا استغاث بك أحد

فأمسك خطاك عنه

الويل لمن ينساق وراء عواطفه

يمد يده ليسقى إنسانا

والذئب فى الحقيقة – هو الذى يشرب

القاضى : رفعت الجلسة .

(ضجة)

رئيس القافلة الثانية : (للدليل) – ألا تخشى أن تفقد عملك ؟

الدليل : كان من واجبى أن أقول الحقيقة .

رئيس القافلة الثانية : (مبتسما) بالطبع ما دام ذلك واجبًا .

(تعود الجلسة إلى الانعقاد) .

القاضى : (للتاجر) بقى لدى المحكمة سؤال أخير توجهه إليك، هل حققت منفعة بوفاة الأجير ؟

التاجر : أنا .. على العكس. لقد كنت فى أمس الحاجة إليه لإنجاز مهمتى فى أورجا. وجميع الخرائط والوثائق والسجلات التى كنت فى حاجه إليها كان هو الذى يحملها معه ولولاه ما استطعت أن أحمل متاعى قط .

القاضى : هل معنى هذا أنك لم تحقق الهدف من رحلتك إلى أورجا ؟

التاجر : بالطبع لا. لقد وصلت بعد فوات الأوان وفقدت كل شىء . كل شىء ..

القاضى : ما دام الأمر كذلك فسأنطق بالحكم. لقد ثبت للمحكمة بما لا يقبل الشك أن الأجير حين اقترب من سيده لم يكن يحمل فى يده حجرًا بل زمزمية. ولكن ما الذى كان يقصده بهذه الزمزمية ؟ أكان

يريد حقًا أن يسقى التاجر ؟ غير معقول .. بل إن المرء ليميل إلى الاعتقاد بأنه كان يريد أن يصرعه بها .. الحق أن الأجير ينتمى إلى طبقة من الناس تحس دائمًا أنها مظلومة ومهضومة الجانب. فلم يغب عنه، وله الحق، أنه لن يحصل على نصيبه من الماء ما لم يغتصبه بالقوة. بل إنى أذهب إلى أبعد من هذا فأقول إن هذا النوع من الناس ضيق الأفق محدود التفكير ولا يرى الأمور إلا من وجهة نظر واحدة ..إنهم لا يرون أبعد من أنوفهم ولا بد أن الأجير كان يرى أن انتقامه من جلاده أمر طبيعى لا غبار عليه. فماذا عساه أن يفقد فى نهاية المطاف ؟ إن التاجر من طبقة غير طبقته .. فمن الطبيعى ألا ينتظر خيرًا من جانب الأجير بعد أن عامله على حد قوله معاملة وحشية. وهداه تفكيره إلى أن هناك خطرًا محققًا يتهدده. وخلو الصحراء من أى أثر للإنسان قد ملأ قلبه ذعرًا. فلا بوليس هناك ولا محاكم ولا يستبعد أن يلجأ الأجير إلى القوة لكى يغتصب نصيبه من الماء. بل إن هذه الظروف نفسها قد تشجعه على ذلك. من هذا يتبين أن المتهم كان فى حالة دفاع مشروع عن النفس.

وسواء بعد ذلك أن يقال إنه كان مهددًا حقا. ففى مثل الموقف الذى وجد التاجر نفسه فيه يعتقد الإنسان دائمًا أن حياته مهددة وإذن فالمتهم برىء من التهمة الموجهة إليه والدعوة المرفوعة من زوجة القتيل مرفوضة .

الممثلون : (ينشدون) :

هكذا تنتهى ... حكاية رحلة

على نحو ما رأيتم وسمعتم

رأيتم حادثا مألوفًا

مما يقع كل يوم

ومع هذا فنحن نناشدكم

أن تتكشفوا الأمر الغريب وراء المألوف

وتتبينوا السر الغامض وراء ما يحدث كل يوم

وليكن فى كل شىء معتاد ما يشعركم بالقلق

تبينوا الشذوذ الذى يستر خلف القاعدة

وحيثما بدا الداء لكم

فأوجدوا له الدواء .